علم البيان من القراءة المعيارية البسيطة إلى القراءة الوظيفية التفاعلية
تدريس علم البيان بالثانوي التأهيلي أنموذجا

أسامة لحفيظ

باحث بسلك الدكتوراه-جامعة القاضي عياض

تـقـديـم:

من الواضح أن القراءة تحظى بأهمية كبيرة في حياتنا، ولهذا ينبغي علينا المُداومة عليها، وكل قراءة تسعى إلى الفهم باعتباره غاية، ولكي نحقق هذه الغاية لابد أن تكون قراءتنا قراءة صحيحة فاعلة ومتفاعلة وليست قراءة سطحية عادية، على اعتبار أن المعنى الذي نبحث عنه هو معنى مضمر ومختفي وراء النص، ولهذا نحتاج إلى مجابهة ومساءلة النصوص بالقراءة الفاحصة الناقدة، لكي نصل إلى دُرر المعاني ولا يتأتى لنا هذا بالقراءة السطحية العابرة عبور الكرام، وبهذا ينبغي على المعلِّمين والأساتذة تعليم المتعلمين مهارة القراءة الفاعلة للنصوص الأدبية قراءة وتذوقا وإنتاجا، وسنركز في هذا المقال على واقع تدريس البلاغة عموما وعلم البيان خصوصا بسلك الثانوي التأهيلي، متجاوزين القراءة السطحية الوظيفية إلى القراءة الفاعلة الحجاجية لعلم البيان، التي تكشف عن المعاني المُضمرة في الشواهد البلاغية سواء تشبيها أو استعارة أو كناية أو مجازا، وسنعتمد في شق نظري على تعريف مجموعة من المفاهيم من قبيل: القراءة الفاعلة، البلاغة، علم البيان، وفي شق آخر تطبيقي مهم جدا سنقدم أمثلة لشواهد بلاغية مختلفة من علم البيان، مُتجاوزين فيها القراءة العادية ومُعتمدين القراءة التفاعلية الحجاجية، والله تعالى ولي التوفيق.

أولا: مصطلحات "القراءة الفاعلة" و"البلاغة" و"علم البيان" بحث في المفاهيم

1- تعريف القراءة الفاعلة

"القراءة الفاعلة هي عملية قراءة نشطة ومنظمة وموجهة بالهدف، حيث يقوم القارئ بتفاعل واعٍ مع النص لفهمه بعمق وتقييمه بدلاً من مجرد قراءته بشكل سطحي أو عادي. تتضمن هذه الاستراتيجية الفعالة اتخاذ قرارات مدروسة بشأن ما يبحث عنه القارئ وكيفية العثور عليه لتحقيق أهداف القراءة المحددة"[1].

يبدو من خلال هذا التعريف أن القراءة الفعالة هي استراتيجية فعالة، وتتميز بالتنظيم ولها بوصلة محددة وهادفة، ويتفاعل القارئ فيها مع النص من خلال تفعيل مجموعة من المهارات والقدرات كالتفكير وطرح الأسئلة والتحليل والنقد والتقييم، وذلك عكس القراءة السطحية التي تكتفي بالظاهر وبالقشور ولا تنفذ داخل النص قصد استنطاقه ومحاورته بالتحليل وطرح الأسئلة التي تثري النقاش.

2- تعريف البلاغة

"البلاغة هي علم يدرس كل الخطابات التي تسعى إلى التأثير"[2].

"البلاغة من خلال القراءة الفاعلة هي القدرة على تذوق واستكشاف الجمال اللغوي والمعنوي في النصوص الأدبية، والغوص في أعماق المعاني والوصول إلى كنوزها، وفهم البلاغة كفن يخاطب العقل والقلب معاً من أجل الوصول إلى فهم أعمق وتأثير أكبر، وهو ما يتطلب تفاعلاً نشطًا ومتعمقًا مع النص بدلاً من القراءة السطحية"[3].

يتبدى من هذين التعريفين أن البلاغة تركز على المعاني المضمرة وليست الظاهرة، وهذا يتطلب قراءة عميقة تغوص في أعماق المعاني، لكي يتأثر بها القارئ أكثر من المعاني الظاهرة، وبهذا فإن البلاغة تخاطب العقل بالتأثير والقلب بتذوق الجمال اللغوي والمعنوي، وأيضا ينبغي تجاوز القراءة المعيارية للبلاغة التي تحصرها في العلوم الثلاثة (البيان، المعاني، البديع)، واعتماد القراءة الوظيفية التي تجعل البلاغة عامة تتجلى في كل خطابات الحياة اليومية.

3- تعريف علم البيان

1- الشبكة العنكبوتية: القراءة الفاعلة، Aperçu IA، تمت زيارته بتاريخ: 2025/8/25، عند الساعة:00:30.

2- محادثة مرئية بعنوان: تدريس البلاغة العربية من المعيارية إلى الوظيفية، الدكتور سعيد العوادي، قناة الدكتور سعيد العوادي.

3- البلاغة من خلال القراءة الفاعلة، **Aperçu IA**، تمت زيارته بتاريخ: 2025/8/25، عند الساعة:00:30.

"يمكن التعريف بعلم البيان اصطلاحاً على أنّه أحد علوم البلاغة في اللغة العربيّة، وهو يعني الوضوح، والإفصاح، وإظهار المقصود بأبلغ لفظٍ حتى تظهر الحقيقة لكل سامع، بالإضافة إلى تعريفه من علماء اللغة بأنّه: "العلم الذي يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"، وذلك يعني أنّ هذا العلم يحتوي على مجموعة من القواعد المُستخدمة لإيصال المعنى الواحد بطرق وفنون مختلفة، مثل استخدام فنّ التشبيه أو الاستعارة، أو المجاز أو الكناية"[4].

يظهر من خلال هذا التعريف أن علم البيان يُعَبّر عن المعنى الواحد بطرق مختلفة، لكن لفهم هذا المعنى لابد من مراعاة ظروف المقام والسياق وأحوال المتلقي ومقصود المتكلم، وبالتالي نعتمد على القراءة الفاعلة التي تساعدنا على فهم المعنى المضمر وهو المقصود، وليس المعنى الظاهر الذي يُفهم من القراءة البسيطة.

ثانيا: علم البيان من القراءة المعيارية البسيطة إلى القراءة الوظيفية التفاعلية

من الجدير بالذكر أن تدريس علم البيان في المقام التدريسي يواجه مجموعة من الإشكالات، لعل أبرزها إشكال تدريسه الذي يعتمد في الغالب على المصطلحات والتفريعات ويتم عزله عن التأثير والإقناع، وبهذا ينبغي قراءة علم البيان في المقام التدريسي قراءة حجاجية لا قراءة عادية، تنتقل من المعنى الظاهر إلى معنى المعنى وهو المقصود، وفي هذا السياق يقول عبد القاهر الجرجاني: "الكلامُ على ضَرْبين :ضربٌ أنتَ تَصِلُ منه إلى الغَرضِ بدلالةِ اللفظِ وحدَه، وذلك إذا قصَدْتَ أن تُخْبِر عن "زيدٍ "مثلاً بالخروجِ على الحقيقة، فقلتَ" :خرجَ زيدٌ"، وبالانطلاق عن "عمرو "فقلتَ:" عمروٌ منطلِقٌ"، وعلى هذا القياسِ. وضربٌ آخرُ أنتَ لا تصِلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللفظُ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعُهُ في اللغُة، ثُمَّ تَجدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانيةٌ تَصِلُ بها إلى الغَرَض. ومَدارُ هذا الأمر على "الكناية "و"الاستعارة "و"التمثيل"الكلامُ على ضَرْبين :ضربٌ أنتَ تَصِلُ منه إلى الغَرضِ بدلالةِ اللفظِ وحدَه، وذلك إذا قصَدْتَ أن تُخْبِر عن "زيدٍ "مثلاً بالخروجِ على الحقيقة، فقلتَ" :خرجَ زيدٌ"، وبالانطلاقِ عن "عمرو "فقلتَ" :عمروٌ منطلِقٌ"، وعلى هذا القياسِ. وضربٌ آخرُ أنتَ لا تصِلُ منه إلى الغرضِ بدلالة اللفظِ وحدَه، ولكنْ يدلُّكَ اللفظُ على معناه الذي يَقْتضيه موضوعُهُ في اللغُة، ثُمَّ تَجدُ لذلك المعنى دَلالةً ثانيةٌ تَصِلُ بها إلى الغَرَض. ومَدارُ هذا الأمر على "الكناية "و"الاستعارة "و"التمثيل (...) وإذ قد عرفت هذه

4- الشبكة العنكبوتية: ما هو علم البيان، https://mawdoo3.com/، تمت زيارته بتاريخ: 2025/8/26، عند الساعة:00:30.

الجملة، فهنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: "المعنى"، و "معنى المعنى"، تعني بالمعنى المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ والذي تَصِلُ إليه بغير واسطة و"بمعنى المعنى"، أن تَعْقِل من اللفظِ معنًى، ثم يُفضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنى آخرَ، كالذي فسَّرْتُ لك"[5].

ولهذا فالبلاغة ليست مقتصرة على علم المصطلح بتعبير الدكتور سعيد العوادي، بل تتعداه إلى بلاغات الحياة اليومية التي نحيا بها حسب لايكوف وجونسن، وسنقدم نماذج لشواهد مختلفة من مباحث علم البيان لنتبين فاعلية القراءة الحجاجية في فهم المعنى المضمر وقصور الفراءة السطحية في ذلك.

1- مبحث التشبيه:

من اللافت أن التشبيه هو إلحاق شيء بشيء بأداة لغرض، وكما ذكرنا من قبل فمبحث التشبيه يحتاج إلى قراءة تفاعلية حجاجية، لكي نفهم الغرض ولا يتأتى لنا ذلك بالقراءة البسيطة العادية، ونقدم مثالا في ذلك، "زيد أسد" هذا التشبيه لا نريده في حد ذاته، بل نريد زيد قوي وشجاع كالأسد المشهود له بالقوة، ويمكننا توضيح معنى القوة عن طريق القياس كالآتي:

المقدمة الكبرى: كل قوي أسد

المقدمة الصغرى: زيد قوي

النتيجة: زيد أسد

إذن هنا تظهر أهمية القراءة الحجاجية في فهم المعنى وتأويله بشكل صحيح.

ويمكننا أن نعيد تجلية المثال بشكل الدوائر الذي يقترحه الدكتور سعيد العوادي*:

دائرة الانطلاق	دائرة العبور	دائرة الوصول
زيد أسد	كل أسد قوي	زيد قوي

ويتضح من خلال هذا التمثيل أن المعنى الحجاجي المقصود هو قوة زيد، ولكي يتوصل المخاطَب إلى هذا المعنى يحتاج إلى كفاءة مرجعية شكلها إجماع الناس على أن الأسد قوي بكونه ملك الغابة بلا منازع، وهذا هو ما يؤكده الدكتور سعيد العوادي بقوله: "إن القول "زيد أسد" أقوى حجاجيا من "زيد قوي"، فقد

5- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم البيان، تحقيق: محمود محمد أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1995م، ص، ص: 262، 263.

يعترض على الحكم بأنه قوي، لكن لا يمكن أن يعترض على كون الأسد قويا، فهذه المعلومة تشكل موضعا/رأيا محل إجماع"[6].

2- مبحث الاستعارة:

من المعروف أن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه، ويعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعارِيَّة"[7].

يقول الله تعالى: (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد)[8].

"يخبر تعالى أنه أنزل كتابه على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لنفع الخلق، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة، وقوله} :بِإِذْنِ رَبِّهِمْ{ –أي: لا يحصل منهم المراد المحبوب لله، إلا بإرادة من الله ومعونة، ففيه حث للعباد على الاستعانة بربهم. ثم فسر النور الذي يهديهم إليه هذا الكتاب فقال } :إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ -{أي :الموصل إليه وإلى دار كرامته، المشتمل على العلم بالحق والعمل به، وفي ذكر } العزيز الحميد {بعد ذكر الصراط الموصل إليه إشارة إلى أن من سلكه فهو عزيز بعز الله قوي ولو لم يكن له أنصار إلا الله، محمود في أموره، حسن العاقبة"[9].

وحول هذه الآية يقول الدكتور سعيد العوادي: "شبه الله تعالى الضلال بالظلمات بجامع عدم الاهتداء، والإيمان بالنور بجامع الهدى، ونصب قرينة حالية تعقل من سياق التلفظ. استند الكتاب العزيز كثيرا إلى

---

* أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب في كلية اللغة العربية جامعة القاضي عياض مراكش.

6_ سعيد العوادي: بلاغة الصورة نحو قراءة حجاجية لعلم البيان، مكتبة أكسجين، المغرب، 2021م، الطبعة الأولى ، ص، ص: 56، 57.

7_ عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، علق على حواشيه: أحمد مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د-ت)، ص: 30.

8- سورة إبراهيم، الآية: 1.

9_ الشبكة العنكبوتية: القرآن الكريم، https://surahquran.com/، تمت زيارته بتاريخ: 14-11/ 2025، عند الساعة: 22:11.

مواضع البياض والسواد المندرج ضمن موضع اللون العام ليس لإقناع الناس من خلال اللون الذي يعرفونه فقط، ولكن من خلال ما يحمله من شحنات ثقافية تقوي الإقناع"[10].

باعتماد القراءة التفاعلية التي تراعي المقام والدلالات الثقافية للألوان نفهم أن الظلمات ترمز إلى الضلال والنور يرمز إلى الهداية، لكن إذا اعتمدنا فقط على القراءة العادية فإنها توقفنا عند دلالة الألوان الحقيقية لا غير، وبالتالي هنا يحتاج المخاطَب إلى كفاءة ثقافية لتأويل المعنى المراد من الآية الكريمة.

3- مبحث الكناية:

بداية لا بد من تعريف الكناية فقد عرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي إليه ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم» :هو طويل النجاد «يريدون طول القامة، » وكثير رماد القدر « يعنون كثير القرى، وفي المرأة » نؤوم الضحى« والمراد أنّها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها. فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى ثمّ لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان. أفلا ترى أنّ القامة إذا طالت طال النجاد، وإذا كثر القرى كثر رماد القدر، وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى؟"[11].

تقول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتى[12]

سنعتمد في تأويل هذا البيت الشعري المهم على مسألة الدوائر التي يقترحها الدكتور سعيد العوادي فيقول: "وصفت الشاعرة ثلاث كنايات كل واحدة منها تدل على صفة يمتاز بها صخر، يوضحها الجدول الآتي:

---

[10]- سعيد العوادي: بلاغة الصورة نحو قراءة حجاجية لعلم البيان، ص، ص: 127، 128.

[11]_ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص: 44.

12_ الديوان: الخنساء، ديوان: أعيني جودا ولا تجمدا، العصر الجاهلي.

الكناية	دائرة الانطلاق	دائرة العبور	دائرة الوصول
الكناية (1)	طويل النجاد	طول الجسم	الشجاعة والقوة
الكناية (2)	رفيع العماد	يملك خيمة واسعة	عظيم في قومه
الكناية (3)	كثير الرماد	- كثرة الجمر - كثرة إحراق الحطب تحت القدور - كثرة الطبخ - كثرة الأكلة - كثرة الضيوف	كريم جواد

بتنويع دائرة العبور في الكنايات الثلاث يحصل تنويع في مسالك الحجاج، وبالتركيز على المظهر البارز تنتج الطاقة الحجاجية، إذ تبئير طول النجاد دون غيره كطول اللباس، مثلا فيه إشارة إلى مظهر القتال، وأن طول صخر هو طول مقاتل. ورفيع العماد تفيد أنه صاحب منزلة رفيعة، استنادا إلى عرف ثقافي يربط بين امتلاك الخيمة ذات العماد العالي وعلو المنزلة، فالخيمة الواسعة دليل على استيعاب الناس والوفود. أما كثير الرماد فلا ندرك سبب اختيار الشاعرة لها إلا بربطها بعبارة حجاجية هي " إذا ما شتا"؛ لأن وقت الشتاء تكثر فيه الرياح التي من شأنها أن تذهب بالرماد بسهولة لخفة وزنه، ويكثر فيه هطول الأمطار الذي من شأنه أن يضعف حجم الرماد لاختلاط الماء به.. وبذلك، صخر قمة من قمم الكرم لكثرة رماده رغم ما يزخر به وقت الشتاء من رياح وأمطار تعفي على شاهد كرمه"[13].

يظهر من خلال القراءة التفاعلية للبيت الشعري أنه يعبر عن ثلاثة معاني هي: القوة والرفعة والكرم، وهذه المعاني لا نحصل عليها إلا بتعمق نظر ومراعاة للسياق فمثلا كثرة الرماد عند العرب إشارة إلى الكرم والسخاء والعطاء.

---

[13]- سعيد العوادي، بلاغة الصورة نحو قراءة حجاجية لعلم البيان، ص، ص: 174، 175.

4- مبحث المجاز:

ويعرف عبد القاهر الجرجاني المجاز بقوله: "أمّا المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول. وإن شئت قلت :كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوّز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"[14].

يقول الله تعالى: (أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت

والله محيط بالكافرين)[15].

"في هذه الآية الكريمة أطلقت الأصابع وأريد منها أطرافها تحديدا؛ لإن الإنسان يصعب عليه إدخال أصبعه كاملة في أذنه. إن التعبير بهذه الطريقة أفيد حجاجيا من قوله: (جعلوا أطراف أصابعهم في آذانهم). ومناط هذه الفائدة هو إظهار مدى عنادهم ومكابرتهم وكفرهم. فلو ذكر أطراف الأصابع عود الأصابع لبدا أنهم لم يصلوا إلى غاية العناد بعد... ويمكنهم آنئذ أن يعودوا إلى سواء السبيل"[16].

فإذا قرأنا الآية الكريمة بشكل عميق نفهم أن المعنى المراد هو التعبير عن الكفر والعناد للقوم الكافرين، وليس المراد هو ظاهر الآية وضع الأصابع كلها في الأذن وإنما وضع أطرافها تعبيرا عن العناد والتكبر.

---

[14]_ عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص، ص: 305، 306.

[15]- سورة البقرة، الآية: 19.

[16]- سعيد العوادي، بلاغة الصورة نحو قراءة حجاجية لعلم البيان، ص: 162.

خـــاتـــمـــة:

وخلاصة القول نقول إن القراءة التفاعلية مهمة جدا في فهم النصوص وسبر أغوارها والنفاذ إلى عمقها واكتشاف عوالمها، باعتبار محطة الفهم محطة أساسية ولا يتأتى تحقيقها بالقراءة البسيطة العادية، ولهذا ينبغي على جميع المدرسين أخذها بعين الاعتبار وتدريب المتعلمين في مختلف المستويات على تحقيقها وتطبيقها في التعامل مع النصوص، ويمكننا تلخيص الأفكار التي توصلنا عندها في النقط الآتية:

- القراءة التفاعلية مهمة جدا في فهم النصوص وتحليلها
- البلاغة تحتاج إلى قراءة حجاجية تفاعلية وتكاملية
- أهمية القراءة في المقام التدريسي ولاسيما القراءة التفاعلية
- مباحث علم البيان في حاجة إلى قراءة تفاعلية لا قراءة بسيطة
- الفهم ثمرة القراءة ولذلك ينبغي الوصول إليه بتؤدة وبطريقة صحيحة وقراءة نهمة رصينة.

لائحة المصادروالمراجع:

القرآن العظيم برواية ورش عن نافع.

الجرجاني، عبد العزيز:

- ✓ دلائل الإعجاز في علم البيان، تحقيق: محمود محمد أبو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1995م.

الجرجاني، عبد العزيز:

- ✓ أسرار البلاغة، علق على حواشيه: أحمد مصطفى المراغي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، (د-ت).

العوادي، سعيد:

- ✓ بلاغة الصورة نحو قراءة حجاجية لعلم البيان، مكتبة أكسجين، المغرب، الطبعة الأولى، 2021م.

الدواوين الشعرية:

- ✓ الديوان: الخنساء، ديوان: أعيني جودا ولا تجمدا، العصر الجاهلي.

محادثة مرئية:

- ✓ محادثة مرئية بعنوان: تدريس البلاغة العربية من المعيارية إلى الوظيفية، الدكتور سعيد العوادي، قناة الدكتور سعيد العوادي.

المواقع الإلكترونية:

- ✓ Aperçu IA https:
- ✓ https: //mawdoo3.com
- ✓ https://surahquran.com